الباب الثالث

أسباب العداء الروسي للمسلمين

- الروس والقسطنطينة .
- الفتح الإسلامي للقسطنطينية .
- استرجاع القسطنطينية هدف استراتيجي للروس .
- تحالف نصارى أوروبا ضد الدولة العثمانية لاسترجاع القسطنطينية.

أسباب العداء الروسي للمسلمين

الروس والقسطنطينية :

القسطنطينية هى بيزنطة ، مدينة لها تاريخ لدى الروس[1]، ومن قبلهم الروم والإغريق ، تاريخ المجد والقوة ، كانت عاصمة العالم العظمى وروما الشرقية ، بناها المستوطنون الإغريق ، واشتق اسمها من اسم القائد الإغريقي "**بيزاس** " وفي موقع بيزنطة ، أقام الامبراطور " **قسطنطين** " القسطنطينية ،عام ٣٣٠م . ذلك الموقع الحصين حيث تلتقي أوروبا بآسيا على ضفاف البسفور والدردنيل ، ونقلت العاصمة إليها من روما، وانتقل النفوذ إلى أيدى المسيحيين الأرثوذكس ، وبعد أن انقسمت الامبراطورية الرومانية إلى شرقية وغربية عام ٣٩٥م . تحولت القسطنطينية إلى حصن ضد الإسلام ، بعد أن جعلها قسطنطين إحدى العواصم العالمية ، وجعلها مركزا دينيا هاما ، لاعتناقه النصرانية على المذهب الأرثوذكسي[2].

حاول السلاف والبلغار غزو القسطنطينية منذ القدم ، وكان ارتباط الروس بها ارتباطا مذهبيا منذ أن دخل الأمير الروسى" فلاديمير " النصرانية ودعى البطريركية البيزنطية كى تبني لها كرسيا أسقفيا في **كييف** على المذهب البيزنطي ، وارتبطت الكنيسة الروسية بكنيسة آيا صوفيا ، خاصة بعد أن عقد قسطنطين الأول فيها المجامع المسكونية الأولى ، ودارت على أرضها رحى المعارك والخلافات المذهبية في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين . والجدير بالذكر أن تلك المجامع لم تلتزم بالتصور الحق لله عز وجل، وهو تصور عيسى عليه السلام والمسيحيين الأوائل ، وتبنت عقيدة التثليث .

كما يرجع اهتمام الروس بالقسطنطينية إلى موقعها الطبيعي الهام كمنفذ بحري يربط البحر الأسود بالبحر الأبيض المتوسط عن طريق المضائق ، ويوصل البلاد الروسية بالمياه الدفيئة والعالم العربي وأفريقيا والهند .

---

(١) وصفهم المؤرخون العرب من أمثال ابن فضلان، وابن بطوطة، وابن رسته، والمسعودى، بأنهم أمة همجية طبعها التوحش، وشيمتهم الغدر ، شقر الأبدان، صفر الشعور، طوال القامات، ضخام الأجسام، أقذر الأمم قاطبة، لا يستنجون من غائط، ولا يغتسلون من جنابة كأنهم الحمير الضالة، يعاقرون الخمر ويشربوها ليل نهار ، وربما مات الواحد منهم والقدح فى يده

(٢) د على حسون ــ العثمانيون والروس ــ المكتب الإسلامى.

الفتح الإسلامي للقسطنطينية :

استعصت القسطنطينية على الفتح الإسلامي قرون طويلة ، وقد قام المسلمون بمحاولات عدة لفتحها ، بعد أن بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفتحها بقوله :" **لتفتحن القسطنطينية فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش جيشها** "

عندما أسس العثمانيون دولتهم لم تلبث أن شهدت عهد قوة وتوسع ، فأحرزوا انتصارات واسعة في أوروبا وآسيا وأفريقيا .ففتح السلطان محمد الثاني القسطنطينية عام ١٤٥٣م.واتخذها عاصمة للدولة بعد أن غير اسمها إلى "**اسلامبول** "، وغير طابعها النصراني البيزنطي إلى طابع إسلامي ، وتحولت الكنائس إلى مساجد . وأحرز انتصارات هائلة في أوروبا وأصبح البحر الأبيض المتوسط الشرقي تحت سيطرته ، واستطاع من بعده السلطان سليم أن يضاعف فتوحاته رقعة الدولة العثمانية خلال ثمان سنوات ، هاجم فيها فارس وحارب الممالك ودخل دمشق والقاهرة ، وأصبح العثمانيون سادة الجزيرة العربية وأخذوا منصب الخلافة الإسلامية ، ثم جاء السلطان **سليمان بن سليم** وهدد أوروبا من جديد ، ونشبت العداوة بينه وبين شاركان لعشرات السنين ، واحتاح السلطان سليمان المجر وتوغل في قلب القارة الأوربية المجزأة ، وحاصر فرسان القديس يوحنا حماة جزيرة رودس ، ووصلت جيوش المسلمين إلى أسوار مدينة فيينا ودب اليأس إلى قلب فرديناند ملك بوهيميا ، ودام الحصار الإسلامي للمدينة أربعة أسابيع حلول العثمانيون خلالها اقتحام المدينة أربع مرات ولكنهم أخفقوا بعد اتحاد القوى الصليبية ، وحلول البرد القارس الذي عرقل القتال .

أثار ذلك كله الغرب الصليبي ، فاستنهضت الشعوب النصرانية همم بعضهم البعض ، ورفعوا راية الوحدة في وجه المسلمين الأتراك ، وتزعمت البابوية في روما النضال ضد الأتراك الذين أخضعوا شرق أوروبا لحكمهم . وعقدت الاجتماعات بين ملوك وأمراء أوروبا ، كي يبعثوا حربا صليبية جديدة ، وطرحوا خلافاتهم وعقدوا مؤتمرا في روما برئاسة البابا ، وأجرى **الأمير فيليب** دوق بورغونديا محادثات تأمرية بين ملوك أوروبا ضد المسلمين ، وأقام تمثيلية في مدينة ليل لاستثارة الحمية والحماس، دعا إليها نبلاء قومه وعرض منظرا يمثل فتح القسطنطينية واستغاثتها بالنصارى ، وبعد انتهاء الحفل أعلن عزمه منازلة الأتراك حتى لو كان وحيدا .

استرجاع القسطنطينية هدف استراتيجي للروس :

شعر الروس الذين كانوا يدينون بالنصرانية أنهم أصبحوا محاطين بالمسلمين من الشرق والجنوب ، إضافة إلى أنهم يتبعون تلك الدولة التي تسيطر على مقدرات شرق

أوروبا وبعد فتح القسطنطينية تأثر الروس ، إذ أصبحت قاعدتهم الدينية تحت هيمنة المسلمين ، وبعد تقدم العثمانيين في شرق أوروبا ، لاحظ الروس أنهم سيحاطون بالمسلمين من الغرب أيضا ، فبدأت الثورة على المسلمين ، وبدأت قوتهم تزداد واستطاعوا تأسيس إمارتين ، إحداهما في موسكو والثانية في كييف ، وشبت هاتان الإمارتان وتخلصتا من الحكم التتاري المسلم ،ثم اندمجتا في إمارة واحدة لتقاوم المد الإسلامي ، محتجة في ذلك أن مناطقها تزدحم بالسكان في الوقت الذي يقل أهل البلاد التي تقع إلى الشرق منهم ، ولكنهم في الواقع كانوا لا يريدونها إلا حربا صليبية.

تقدم الروس وحققوا انتصارات على التتار في الشرق ، ثم بدأوا حربهم الصليبية بالتوجه نحو الجنوب بغية استعادة القسطنطينية لإعادتها مركزا للأرثوذكس ولوصولهم إلى المياه الدفيئة، وكانت حملاتهم أشد الحملات الصليبية ، ولكنهم حيثما اتجهوا كانوا يصطدمون بالمسلمين ، لذلك جرت الحروب الضروس بين الدولتين الناشئتين الدولة العثمانية في الجنوب والدولة الروسية النصرانية الأرثوذكسية في الشمال.

سعى الروس إلى استرجاع القسطنطينية من أيدى المسلمين ، وإعادتها إلى حظيرة الكنيسة الأرثوذكسية ، لذلك وضعوا استراتيجية ثابتة تقوم على هزيمة المسلمين ، والقضاء عليهم بل وإعادتهم إلى حظيرة النصرانية ، ومن هنا كان توسعهم الاستعماري نحو الجهات الجنوبية والجنوبية الشرقية في بلاد المسلمين .

وصية بطرس الأكبر :

جاء في وصية الامبراطور الروسي ، بطرس الأكبر : " إن على الروس أن ينتشروا يوما بعد يوم شمالا على سواحل بحر البلطيق وجنوبا على سواحل البحر الأسود، كما ينبغي التقرب بقدر الإمكان من استنبول والهند ، لأن من يحكم استنبول يمكنه أن يحكم الدنيا بأسرها ، لذلك فمن اللازم احداث الحروب مع الدولة العثمانية والدولة الإيرانية ، حتى نصل إلى خليج البصرة وبلاد الهند مخزن الدنيا ، وحينما نستولى على استنبول علينا أن نسلط دول أوروبا على دولة النمسا ، وينبغي أن نستميل لجهتنا جميع النصارى وغيرهم من على مذهب الروم المنكرين رئاسة البابا الروحية والمنتشرين في بلاد المجر والولايات العثمانية ، ونجعلهم يتخذوا من دولة روسيا مرجعا ومعينا لهم ، ومن اللازم قبل كل شيء احداث رئاسة مذهبية حتى نتمكن من اجراء نوع من النفوذ ، وحكومة رهبانية عليهم"[1]

---

(١) المرجع السابق

تحالف نصارى أوروبا ضد الدولة العثمانية لاسترجاع القسطنطينية :

سعى الصليبيون إلى طرد العثمانيون من أوروبا واسترجاع الأراضي المقدسة، وتحددت الحماسة النصرانية لقتال العثمانيين في أواخر القرن الثامن عشر ، فدعا فولتير لنصرة الروم ، ونظموا الأشعار الحماسية لمقاتلة الأتراك ، ونادوا بضرورة الوحدة بين الروس والغرب الصليبي لمحو السلطنة العثمانية من الوجود ، ولجأت روسيا إلى تحريك نصارى الدولة العثمانية المشتركين معهافي المذهب ،كي يكونوا ساعدها الأيمن وسلاحا يشهرونه في وجه أعدائهم المسلمين .

بعد موت "**ماريا تريزا** " عام ١٧٨٠م. انفسح المجال أمام الامبراطورة " **كاترين الثانية** " لتتحالف مع الكنيسة على إسقاط الدولة العثمانية ، وتقسيم أملاكها . وتجددت الحماسة النصرانية ، في أواخر القرن الثامن عشر ، واتفق نصارى أوروبا على طرد العثمانيين واسترجاع القسطنطينية ، ومكافأة القيصرة الروسية على جهادها لنشر الديانة المسيحية بإعطائها بلاد التتار وأزوف ، وأجبروا الباب العالي على عقد معاهدة مع الروس تخلى بموجبها عن شبه جزيرة القرم .

يقول الكاتب الفرنسي **فولتاى** :" إن الأتراك فتحوا أجمل بلدان العالم وأعظمها في أقل من ٤٠٠ سنة ، ومنذ حوالي المائة سنة الأخيرة ظهرت دولة روسيا قبل هذا التاريخ مجهولة ، فتقدمت وأصبح المستقبل لها .. ثم استطرد قائلا : إن تركيا يجب أن تتقوض ، وأشار على بلاده فرنسا الاتفاق مع الروس لذلك الغرض ، وعدم معارضتهم في استخلاص القسطنطينية ."

أرادت انجلترا التقرب من كاترينا مقترحة تقاسم النفوذ في شرق أوروبا والشرق الأقصى ، فرفضت كاترينا ، ويقول نابليون في منفاه في جزيرة القديسة هيلانة : تذاكرت مرارا مع الروس في أمر السلطنة العثمانية ، وكان ممكنا لولا القسطنطينية التي كانت دائما سببا لمنع الاتفاق ، فقد كان الروس يريدونها ، وأنا لم أكن أرض باستيلائهم عليها لأن القسطنطينية وحدها مملكة ، ومن ملكها أمكنه أن يسود كل الدنيا ، وإذا سقطت مملكة القسطنطينية فلن يمكن لأحد أن يعرف ما يتبع ذلك من المصائب والحروب ، وإن ارتفع تاج هذه البادة على رأس يملك من البلطيق شمالا حتى البحر المتوسط جنوبا ، فليس من المستبعد أن نجد أقواما من البرابرة يهجمون على فرنسا من جهة البحر " وقصد بذلك الروس .